نفحات الأزهار
الجزء: ١١

السيد علي الميلاني

الكتاب: نفحات الأزهار
المؤلف: السيد علي الميلاني
الجزء: ١١
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٤
المطبعة: مهر
الناشر: المؤلف
ردمك:
ملاحظات: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للعلم الحجة آية الله السيد حامد حسين اللكهنوي

١٠ - دلالة الحديث على أن الإمام خاتم الأولياء
قال المولوي حسن الزمان:
" تنبيه: ومن أحسن بينة على معنى ختم الأولياء: الحديث المشهور الصحيح الذي صححه جماعات من الأئمة:
منهم: أشد الناس مقالا في الرجال سند المحدثين ابن معين، كما أسنده ووافقه الخطيب في تاريخه - وقد كان قال أولا لا أصل له -.
ومنهم: الإمام الحافظ المنتقد المجتهد المجدد الجامع من العلوم - كما ذكره السيوطي، وابن حجر، والتاج السبكي، والذهبي، والنووي، عن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ويؤيده قول إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير - في تهذيب الآثار، وقد قال الخطيب: لم أرد مثله في معناه، كما نقل كلامه السيوطي في مسند علي من جمع الجوامع.
ومنهم: الحاكم.
ومن آخرهم: المجد الشيرازي شيخ ابن حجر، في نقد الصحيح، وأطنب في تحقيقه كما نقله الدهلوي في لمعات التنقيح.
واقتصر على تحسينه: العلائي، والزركشي، وابن حجر، في أقوام أخر، ردا على ابن الجوزي.
من قوله صلى الله عليه وآله:
أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة إلا من بابها، قال الله تعالى: (وأتوا البيت من أبوابها). وهو أقوى شاهد لصحة رواية صححها الحاكم: فمن أراد العلم فليأت الباب.
وهذا مقام الختم من أنه لا ولي بعده إلا وهو راجع إليه، آخذ من لديه،

وإليه الإشارة بما في الحديث الصحيح المستفيض المشهور بل المتواتر، من الأمر بسد كل باب في المسجد إلا بابه، مستندا إلى أمر الله تعالى بذلك، فهو سد كل باب من صاحب الشريعة إلا ما شاء في الطريقة إلى الحقيقة إلا بأنه، فلا جرم قد انحصرت سلاسل الطريقة في باب المرتضى إلا ما ندر كخوخة الصديق أبي بكر، ويؤيده الأحاديث الصحيحة المذكورة وغيرها المشهورة.

ومن هنا كان المرتضى مثل عيسى - على نبينا وكل الأنبياء الصلاة والسلام - في إفراط وتفريطهم فيه كما ورد، وقد استشهد ليلة رفع فيها عيسى كما ورد من طرق عن الإمام الحسن بن علي في الخطبة، فإنه خاتم الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي.

والمرتضى كرم الله وجهه خاتم الولاية الخاصة المحمدية الأكبر، فالمهدي الوارد فيه - عند الطبراني وجماعة: المهدي منا أهل البيت يختم الدين به كما فتح بنا - فولي آخر من العرب من أكرمها أصلا، ويدا كان الشيخ الأكبر خاتم الولاية المحمدية الأصغر عاصره ولقيه ونفيه خاتما خاصا في العالم غيره قبل تحققه برتبته وإن كان بشر به فنسي، ثم لما تحقق حقق " (١).

وحاصل هذا الكلام: إن حديث مدينة العلم من أحسن بينة على أن أمير المؤمنين عليه السلام خاتم الأولياء، وأن كل ولي راجع إليه، آخذ من لديه، وهذا وجه آخر لدلالة حديث مدينة العلم على أفضليته فإمامته عليه السلام...

---

(١) القول المستحسن في فخر الحسن ١٨٤.

قوله:
" غاية ما في الباب أنه قد تحقق فيه شرط من شروط الإمامة على الوجه الأتم، ومع وجدان أحد الشروط لا يلزم وجود المشروط ".
أقول:
لقد ثبت - من البحوث المتقدمة - دلالة حديث مدينة العلم على إمامة سيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وكلام (الدهلوي) هذا يؤيد استدلال أهل الحق بهذا الحديث الشريف على الإمامة والخلافة، لأن تحقق أحد شروط الإمامة فيه - وهو العلم - بالوجه الأتم ثبتت أعلمية الإمام عليه السلام، وهذه تقتضي أفضليته وحينئذ لا يبقى ريب في وجدان لسائر شرائط الإمامة.
أدلة أخرى على استلزام الأعلمية للأفضلية فالإمامة
وبالرغم من ثبوت استلزام الأعلمية للأفضلية، وأيضا استحقاق الأعلم للإمامة والخلافة، من الوجوه المذكورة سابقا، لكنا نذكر فيما يلي بعض الأدلة المحكمة على هذا المطلب:
١ - قصة جالوت
قال الله تعالى: (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال

ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم).

قال الثعلبي والبغوي والنسفي وغيرهم: " (قال إن الله اصطفاه) اختاره (عليكم وزاده بسطة) فضيلة وسعة (في العلم) وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته " (١).

٢ - قصة استخلاف داود سليمان عليهما السلام

وهذه القصة ذكرها أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي في (قصص الأنبياء) وأبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في (العرائس)، وعبيد الله الكاشغري في (نفائس العرائس) بألفاظ متقاربة، وهذه هي القصة بلفظ أبي إسحاق الثعلبي:

" باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان - عليهما السلام - وذكر بدو الخاتم. قال أبو هريرة رضي الله عنه:

أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاثة عشر مسألة، فأوحى الله تعالى إليه أن سل عنها ابنك، فإن هو أخرجهن فهو الخليفة من بعدك، قال: فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا، وأجلس سليمان بين أيديهم وقال: يا بني إن الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل، وأمرني أن أسألك منها، فإن أخرجتهن فأنت الخليفة من بعدي. فقال سليمان: ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله، قال داود:

---

(١) معالم التنزيل ١ / ٣٤٣.

يا بني ما أقرب الأشياء؟ وما أبعد الأشياء؟ وما آنس الأشياء؟ وما أوحشها؟ وما أحسن الأشياء؟ وما أقبحها؟ وما أقبل الأشياء؟ وما أكثرها؟ وما القائمان؟ وما الساعيان؟ وما المشتركان؟ وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره؟

فقال سليمان عليه السلام: أما أقرب الأشياء فالآخرة. وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا، وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح، وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه، وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان، وأما أقل الأشياء فاليقين، وأما أكثر الأشياء فالشك، وأما القائمان فالسماء والأرض، وأما الساعيان فالشمس والقمر، وأما المشتركان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب.

قال: ففكوا الخاتم، فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون: لا نرضى حتى نسأله عن مسألة، فإن أخرجها فهو الخليفة من بعدك، فقال سليمان عليه السلام: سلوني وما توفيقي إلا بالله، فقالوا له: ما الشئ الذي إذا صلح صلح كل شئ من الإنسان، وإذا فسد فسد كل شئ من الإنسان؟ فقال: هو القلب.

فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إن الله تعالى يأمرني أن استخلف عليكم سليمان. قال: فضجت بنو إسرائيل وقالوا: غلام حدث يستخلف علينا! وفينا من هو أفضل منه وأعلم! فبلغ ذلك داود عليه السلام، فدعا أسباط رؤساء بني إسرائيل وقال لهم: إنه قد بلغني مقالتكم، فأروني عصيكم، فأي عصاه أثمرت فإن صاحبها ولي هذا الأمر بعدي، قالوا: قد رضينا فجاؤوا بعصيهم، فقال لهم داود: ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه، فكتبوا، ثم جاء سليمان بعصاه، فكتب عليها اسمه، ثم أدخلت بين

العصي وأغلق عليها الباب وحرست رؤس أسباط بني إسرائيل، فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح فأخرج عصيهم فإذا هي كما هي، وعصا سليمان قد أورقت وأثمرت، قال: فسلموا ذلك لداود عليه السلام، فلما رأى ذلك داود حمد الله وجعل سليمان خليفة ثم سار به في بني إسرائيل فقال: إن هذا خليفتي عليكم من بعدي ".

٣ - حديث: من استعمل عاملا..

ومن الأدلة على تعين الأعلم للخلافة والإمامة: ما جاء في (كنز العمال) من قوله صلى الله عليه وآله:

" من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين. م د. عن ابن عباس " (١).

لأنه إذا كان استعمال عامل هذا شأنه في أمر صغير خيانة لله ورسوله وجميع المسلمين، فما ظنك بالولاية العامة والإمامة الكبرى والخلافة العظمى عن رسول الله؟!

٤ - الدليل من الأشعار المروية

ومن الأدلة على اقتضاء الأعلمية للإمامة: الأشعار التي رويت عن واحد من الصحابة أنه قالها بعد السقيفة في مدح علي عليه السلام، وبيان أنه صاحب الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، دون أبي بكر بن أبي قحافة، وهذه هي:

---

(١) كنز العمال: ٦ / ٤٠.

ما كنت أحسب أن الأمر منحرف * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن * جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلهم * وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه * ها إن بيعتكم من أول الفتن "

وهذه الأبيات ذكرها الخوارزمي ونسبها إلى " العباس بن عبد المطلب " (١).

وذكرها الأيوبي في (المختصر في أخبار البشر) إلا البيت الأخير منها مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، ناسبا إياها إلى " عتبة بن أبي لهب " (٢) وعزاها في (الموفقيات) إلى " بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب " وهذا نص كلامه:

" روى محمد بن إسحاق: إن أبا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن عليا هو صاحبها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الفضل بن عباس: يا معشر قريش - وخصوصا يا بني تيم - إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسدا منهم لنا وحقدا علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهدا هو ينتهي إليه، وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن * جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردهم عنه فنعلمه * ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن "

---

(١) المناقب للخوارزمي: ٨.
(٢) المختصر في أخبار البشر: ١ / ١٥٦.

وعزاها الزين العراقي في (شرح الألفية) وفي (التقييد والايضاح)، وكذا السخاوي في (فتح المغيث - شرح ألفية الحديث) في البحث حول أول من أسلم ... إلى " خزيمة بن ثابت " وهذا نص كلام العراقي في كتابه الثاني:

" والصحيح أن عليا أول ذكر أسلم، وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه كما سيأتي، وقال ابن إسحاق في السيرة: أول من آمن خديجة ثم علي بن أبي طالب، وكان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين، ثم زيد ابن حارثة فكان أول ذكر أسلم بعد علي، ثم أبو بكر فأظهر إسلامه إلى آخر كلامه. وما ذكرنا أن الصحيح من أن عليا أول ذكر أسلم هو قول أكثر الصحابة: أبي ذر، وسلمان الفارسي، وخباب بن الأرت، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبي أيوب الأنصاري، والمقداد بن الأسود، ويعلى بن مرة، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعفيف الكندي.

وأنشد أبو عبد الله المرزباني لخزيمة بن ثابت:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفا * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتهم * وأعلم الناس بالفرقان والسنن " (١)

وكذا نسبها إليه الشيرازي في (روضة الأحباب) والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية).

وعزاها بعضهم كالفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) والنيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن) والبيضاوي في (تفسيره) إلى " حسان بن ثابت " (٢).

وعزاها بعضهم كأبي جعفر الإسكافي في (نقض العثمانية) إلى " أبي سفيان ابن حرب " حيث قال في بيان أنه عليه السلام أول من أسلم: " وأما الأشعار المروية

---

(١) فتح المغيث ٣ / ١٢٤.

(٢) الرازي النيسابوري البيضاوي تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة.

فمعروفة كثيرة منتشرة، فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيبا للوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وإن ولي الأمر بعد محمد * علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي الرسول حقا وصنوه * وأول من صلى ومن لاذ جانبه

وقال خزيمة بن ثابت:

وصي رسول الله من دون أهله * وفارسه مذ كان في سالف الزمن
وأول من صلى من الناس كلهم * سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم * وأعلم الناس بالأحكام والسنن

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير:

وإن عليا لكم مصحر * يماثله الأسد الأسود
أما إنه أول العابدين * بمكة والله لا يعبد

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا علي وابن عم المصطفى * أول من أجابه فيما روى
هو الإمام لا يبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا عليا وانصروه فإنه * وصي وفي الإسلام أول أول
وإن تخذلوه والحوادث جمة * فليس لكم عن أرضكم متحول

والأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجئ القبيلتين التواطي والاتفاق كان ورودهما حجة ".

٥ - قول عمر: لو أدركت معاذ بن جبل...

ومن غرائب الأمور: ما رووه عن عمر بن الخطاب أنه كان يتمنى وجود معاذ بن جبل حين موته ليستخلفه من بعده، وكان السبب في ذلك ما كان سمعه - على حد زعمه - من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حق معاذ " إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم ".

وممن روى هذه القصة: ابن سعد (الطبقات) وأحمد (المسند) وابن قتيبة (الإمامة والسياسة) وأبو نعيم (الحلية) وابن حجر والعسقلاني (فتح الباري) والمتقي (كنز العمال)..

قال ابن سعد: " أخبرنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن أبي عروبة: سمعت شهر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته، فسألني عنه ربي لقلت: ربي! سمعت نبيك يقول: إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم بقذفة حجر " (١).

ومن هنا يعلم أن تقدم الرجل في العلم كاف لاستخلافه، وأن عمر كان يرى جواز ذلك بالاستناد إلى تلك الجهة، وهذا من أقوى الشواهد على أفضلية الأعلم وأولويته بالخلافة والإمامة، ومن ادعى خلاف هذا المعنى فقد سفه عمر وجهله..

هذا، مع عدم وجدان معاذ غير العلم من الشروط المعتبرة في الإمام، منها القرشية وقد تقرر أن " الأئمة من قريش "..

قوله:
" لا سيما مع وجود ذاك الشرط أو ما يفوقه في غيره، كما ثبت برواية أهل السنة، مثل: ما صب الله شيئا في صدري إلا وقد صببته في صدر أبي بكر ".

أقول:
إن من له أدنى تتبع للأخبار والآثار يعلم أن الشيوخ الثلاثة كانوا على جانب عظيم من الجهل والغباوة، وقد ذكر العلامة السيد محمد قلي طرفا من براهين ذلك في (تشييد المطاعن) ومن شاء فليراجع.

وبالنظر إلى هذه الحقيقة الراهنة لم يشترط أهل السنة في الإمام أن يكون عالما بالفعل بجميع الأحكام، بل اكتفى جمهورهم باشتراط الاجتهاد، إلا أن بعضهم لم يشترطها وجوز أن يكون الإمام مقلدا للمجتهدين في أمور الدين، وليس هذا إلا محاولة منهم لتصحيح خلافة المشايخ...

وقد ذكر ذلك كله التفتازاني في (شرح المقاصد) في ذكر شروط الإمام حيث قال " وزاد الجمهور اشتراط أن يكون شجاعا لئلا يجبن عن إقامة الحدود ومقاومة الخصوم، مجتهدا في الأصول والفروع ليتمكن من القيام بأمر الدين، ذا رأي في تدبير الأمور لئلا يخبط في سياسة الجمهور.

ولم يشترطها بعضهم لندرة اجتماعا في الشخص، وجواز الاكتفاء فيها بالاستعانة من الغير، بأن يفوض أمر الحروب ومباشرة الخطوب إلى الشجعان، ويستفتي المجتهدين في أمور الدين، ويستشير أصحاب الآراء الصائبة في أمور الملك " (١)

---

(١) شرح المقاصد ٥ / ٢٤٤.

ولقد أيد صديق حسن خان قول هذا البعض ودافع عنه في (إكليل الكرامة في تبيان الإمامة).